ـ ما زلت تجد هنا أناساً يُصغون إليك ويُناقشونك، إننا أُسرتك الوحيدة، وأنا الذي يكلّمك، إنك من لحمي ودمي. أتجهل ذلك؟.

هذه الكلمات التي لم يسبق أن قالها «پاتيغ»، أطلقها لافتقاره إلى الحُجّة على أمل إفحام «ماني». الذي أخذ في الواقع يضطرب. فلقد فرغت نظرته وغاب عن الوجدان. وأخذ قلبه يقرع صدغيْه. وإنه لخائف من أن يتهالك ويده تبحث عن جدار تستند إليه فيمدّ إليه «پاتيغ» راحة مبسوطة وكأنها تسعى لأن تتلقّفه، بيد أن الابن ما إن لمسها وشعر بلزاجتها الخشنة حتى تراجع وانتصب قائلاً بصوت لا نبرة فيه:

ـ لقد تأخّر الوقت كثيراً الآن لكي يكون أحد من الناس والدي.

لم يكن أي منهما قد سمح لنفسه حتى الآن بالتذكير، ولو تلميحاً، برابطة الدم التي تجمعهما؛ واكتفى كل منهما بأن يعرف أن الآخر يعرف، وقد حفظ هذا التواطؤ الصامت لأحاديثهما المتبادلة تأثُّراً لم يكن قد شُرع به. وعليه فقد جاءت الكلمات التي تلفّظ بها «پاتيغ» لا لكي تفضح وحسبُ عُرفاً ضمنياً وحكيماً، بل لكي تتّخذ ـ وقد قيلت في مثل هذه الظروف وبمثل هذه الأفكار المسبّقة ـ في مسمع «ماني» صورة شيء عِدائي وبذيء. وكان عليه أن يلتقط أنفاسه بعناء قبل أن يضيف بنبرة أرادها حاسمة:

ـ لقد كُتب منذ الأزل أن تكون السبيل التي أُقبل عليها للحلول في هذ الجسد. بيد أنك لن تكون حجر عثرة في طريقي.

كان قدامى «الجماعة» مجتمعين في قاعة المَجْمَع المحاذية لِـ «البيت المقدّس». وكان هناك «سيتايي» مترئّساً وابن أخيه «غارا» و«أخ» من (الرُّها) وآخر من (فراة) وثالث من (قشقر). كان مجموعهم خمسة قضاة جالسين بعرض الطاولة الضخمة، وقبالتهم كان المتّهم واقفاً ولا أثر في وجهه لأي انفعال.

كانت الكلمة الأولى من حقّ «سيتايي».